مدخل :

الحمـــد لله فاطر الأرض والسماء، الذي جعل الموت همٌّ – لا يكاد يغفوا- عن ملكة ثلة من عباده الخلصاء ، وخلقه الأصفياء.

والصلاة والسلام على إمام الأتقياء .. القائل:

{ أكثروا ذكر هادم اللذات }رواه الطبراني.

– بينا يُرى الإنسان فيها مُخبراً ..حتى يُرى خبراً من الأخبار–

وأحببت أن أصدر هذا ببعض آيات الكتاب المبين، ومن كلام رسول رب العالمين، وما جاء عن السلف المتقدمين والجله من التابعين والثلة من الصالحين ، وبعدها من أوتوا الحكمة من أحكم الحاكمين.

١/ هذه .. (رسالةٌ) في

أولى خطى الحياة الآخرة، وعن نهاية الإنسان، -أي: حين تبلغ الحلقوم- فأسميتها (هادم اللذات)- اقتباساً من الحديث أعلاه-.

وفعلنا هذا ينطوي تحت قياس (العمل البشري) [١]– الناقص .. أبداً – لكن.. تقديم عذرنا أمام ربنا- بعد فعل السبب، و.. الممكن-، ثم أخذاً بالمعنى الذي جاء في الآية الكريمة:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود/ ١١٧] إذا أن من موانع العقوبة – بإذن الله تعالى – الإصلاح، و.. وجود أهله بالمجتمع هو لخيرٌ فيهم باق [٢].

---

١) مع ما يحذوه صاحب الصناعة، فالأديب يغلب عليه الميل العاطفي والجمال البياني على صحة الفكرة، وقوة السند وكذا قيل/ عن تفسير (الأديب) سيد قطب-رحمه الله- (في ظلال القرآن)..

(٢) من معنى حديث: (الخير فيّ وفي أمّتي..) صدق رسول الله ﷺ.

ولأن الإصلاح له أوجه كثيرة، يبينها قول سيدنا (شعيب) عليه السلام في قوله تعالى ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ ﴾ [1]أي – وهو يحمل رسالة الله إلى قومه – لا يزكي نفسه.. بالإصلاح الكامل، لكنه قدر الاستطاعة، ثم يعزو كل جهده إلى: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [هود:٨٨] – أي لا بحولي ولا بطولي أو قوّتي إنما، افعل من الإصلاح قدر استطاعتي-

وبعدها – إلى القارىء – ما قاله: (هاشم الرافعي):

هـــذي منـــاي ومـــنى محبّـــك.. فجعلها منـــاي

فهـــذا ليس فيه مادة علمية صِـــرفه قد يتكىء عليها من يريد أن يسبر غور هذا المنحى، إنما هي وريقات..- تم جمعها.. على اجتهاد يسير – وددت أن تحمـــل تذكـــير للمقتفي - بوعد-، وتحذير- أو..وعيد لمن ركن إلى الدنيا (الغروره).

مـــع أمل.. اقتران فعلي، بعون الإجابة على ما تعلمنا، أخذاً بقول نبينا محمد ﷺ: { لا تـــزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع..، إحداها "عن عـــلمه مـــاذا عمـــل بـــه"}، فأسأل الكريم سبحانه: إن لم يكن ما بهذا في موازيـــني..، أن لا يكـــون حجة عليّ..، يا رب- فجلّ من تفرّد بالكمال، وخصّ بالعصمة نبيه-

وأن لا يُعدّ (الزلل) الذي فيه إلا من (اللمم) [2] الذي لا نُحاسب عليه.

---

(١) من الآية ٨٨ [هود]،- أي: ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم وتستقيم منافعكم.

(٢) الذنوب الصغار، التي لا يصر صاحبها عليها-.. أو التي لم (يلم) بها العبد مرة بعد مرة- فـــ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ [النجم: ٣٢] –

و.. أيضـــاَ أقدّم هذا..إزاء إلحاح متكرر من غير واحد من إخواني، وبعض خلصاء في الله،.. بـــ / أن أوجّه شيء من طاقتي (الإبداعية)- كما زعموا- إلى مـــا فيه لله خالصاً، ثم تعاليمه السامية حصراً، آثرت بث — وإن لم يكن تخصص.. مجاليَ-.. هذه الرسالة، مع الاعتراف سلفاً بـــ: ضعف القدرات! ولعـــل مـــا بهذا يروي أمل ضمئهم،.. بعد أن يجد جهدي المأمّل بما فيه،.. فلعلها (أمنية) حققتها بدافع شحذهم حفظهم الله[1]..-.

٢/ .. وكـــان أخـــي (محمد مصطفى الخطيب) حفظه الله، قد عرض علي - حـــين ابـــتدرني بـــــ (الفكرة) الكامنة لدي- بـــ/ بعض مقتطفات في وريقـــات، كانت عوناً على إتمام المادة..، — مأجوراً.. مشكوراً-، فتبنيتها بفضل الله وعونه حتى أخرجتها بهذه الرسالة.

بل.. هي رغبة سابقة لكأنه أفاقها لدي - عن هذا — ..كُنت قد ألمحت إليها في كـــتابي (ديـــوان البيان) — ص ٢٤١هـــ- أمّلت في وقتها أن أتم ذلك، إلا.. أن الأشـــغال والأعمال تترى.. حالت - مع وهن الهمة في الغالب - بلوغ ذلك، فركنت هذا الأمل (الوعد) جل الوقت الذي مضى!

٣/ وأنا في الإعداد النهائي لهذا (الكتيّب) وقع في يدي- .. وهذا من حظي— كتاب لأخي المُجدّ النشط: (عبد الملك القاسم) بعنوان "لحظات ساكنة"..

ولم يـــتح لي أن أطّلع عليه من قبل، لانشغالي أو ربما تقصيراً مني في متابعة ما يستجد، وما ذاك إلا من عبء الغفلة الذي نستعيذ بمولانا أن يميد بنا.

وهـــو/ يحمل غيض من فيض مضمون ما أوردت هنا، ولعل هذا يوازي قول (سيد قطب) عن (محمد إقبال) رحمهما الله: أني كدت أن أتفق معه بالمعاني، وربما اتفقت معه بالمفردات!

ولا غرو في هذا-! فالعلم رحمٌ بين أهله، والمشرب واحد، ولا عجب أن يقع الحافـــر على الحافر — كما يقول أبو الطيب- فإن من العبارات وأنماطها، ما هو حق مشاع، ومتداول بين أصحاب القلم.

---

(١) مرددًا.. لذاتي: (.. سُقيتم بدعاء غيركم)

٤/دأبت، خلال كتاباتي – عموماً- تطعيمها بالشعر..، وبعض ما أستحسن من شواهد النثر لكي اصرف القارئ عن المادة الصرفة الجامدة والتي تحمل بين طياتها نمطيته افعل، ولا تفعل دونما أفعل هذا مباشرة في الخطاب وتوجيهه!-

٥/ دأبـــت خلال كتاباتي أن أطعّمها بالشعر.. مع بعض ما استحسنت من شواهد النثر، لكي أبعد القارئ عن المادة (الجامدة) أو التي تحمل نمطية أفعل.. ولا تفعل- دونما أفعل هذا مباشرة في الخطاب وتوجيهه.

٦/ ..فـــ : هذا ليس كتاب، بل كُتيّب – أو رسالةٌ – ليس فيها بسط سوى تذكير[1] – مع شحذ الهمّة - وتنبيهٌ للغافل، وتعريف للجاهل.

(والذكـــرى تنفع المؤمنين) [الذاريات:٥٥]، فالمسلم لا يألوا جهداً في بذل النصح[2] وإسدائه إلى أخيه المسلم،-..فـــ/.

الناس في غفلاتهم .. ورحى المنية يطحنُ .-

وهذه رسالة مختصرة في (الموت) والاستعداد له، سميتها (هادم اللذات) أخذاً بوصفه .. إياه من أعطي جوامع الكلم ﷺ .

ولعل الله أن يكتب فيه الأجر ويبلغ به القصد مما قل من العلم، وما يدل من النـــتاج المقصود.. ، كما نسأله أن يُنتفع به كيما يعين - القارئ والكاتب- لنيل رضاه.

محبكم في الله

المـــؤلف

---

(١) الـــتذكير نوعـــان : تذكير بما لا يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول.. الخ، وتذكير بما هو معلوم للمؤمنين- من: (تفسير السعدي).

(٢) قدوتـــنا في هـــذا المصطفى ﷺ الذي قال له ربه ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ..﴾ أي: مهلكها إثر من تدعوه إلى (الهدى).. الخ.

إيحـــاء*:

ولا ينبئك عن خلق[1] الليالي كمن فقد الأحبّة والصحابا

كنت أظن ـــ أو زعمت لنفسي ـــ أنني قد أفرغتُ عما يُهيّجها من الأحزان في مادة (وداع الأحبة)[2].

ولم يـــدر بخلـــدي ألبته أن فراق كل خليل (أساً) يبعث الأسى - كما قال (مالك بن نويرة) ـــ ، وهذا ربما مراد ذاك الحكيم القائل:

(من أراد البقاء فيلوطّن نفسه على المصائب)[3].

ولم أبلغ من العمر أن أتمثّل بهذا، لكن.. وفاة الخالة- و.. الأم الثانية- (عائشة بنـــت عـــبد العزيز المطلق -رحمها الله- ووالديها رحمة واسعة- أثناء توارد فكرة هذه (الرسالة)[4].. مما صيرني -.. وقد رحل الغوالي قبلها كـــ (أمي.. ثم تبعها أبي) رحمهما الله – ومما يردد: (ومن عادة المحزون أن يتذكّرى) ـــ.. أن أطبق شيء من تلك الحكمة.. على سمتي..و..و..

---

* وهذا الإيحاء قد لا يهم القارئ ، بقدر ما هو ... مدخل لما أرنو إليه.

(١) أي : طبعها- .. البيت/ لأحمد شوقي-

(٢) .. مـــادة نشـــرت في المجلـــة العربية – عدد ١٤١٦/٦هـــ-.. ثم توسعت بها فألحقتها بكتابي (ديوان البيان) – ط ١٤٢٠هـــ (ص٢٢٧، وما بعدها).

(٣) وكذا ، استشهد الإمام البخاري حين نُعي له الدارمي ـــ رحمهما الله -:

إن تـــبقى تُفجع بالأحبّة كلهم وفـــناء نفســـك لا أبالك أفجعُ

واســـتطراداً : إن التأسي أكثر معين على السلوى وكذا التعزّي بالغير، وقد جاء حديث {تعزّوا عن مصائبكم بي} -رواه أحمد- رافداً لهذا.

قالت الخنساء رضي الله عنها -في رثاء أخيها (صخر)- :

فلـــولا كـــثرة الـــباكين حولي عـــلى اخوانهـــم لقتلت نفسي

أي التأسي بمثل ما أُصيبوا ... إننا في هذا الفقد سوى.

- فلابـــد مـــن فقد ومن فاقد هيهات مافي هذه الدنيا خالد -

(٤) لعل هذا التسيطر هو بمثابة إهداء لها، - لتوافق إعداده مع رحيلها.. في ١٤٢٥/٦/٢٧هـــ-

- فما وجدت نفسي.. إلا تُردد:

أبكـــيكِ لَـــو نفـــع الغليل بكائي ... وأقول، لو ذهب المقال بدائي

وأعوذ بـــ(الصبر الجميل)[1] تعزّية ... لو كان بالصبر الجميل ..عزائي

طـــوراً تكافـــئني الدمـــوع، وتارةً ... أوي إلى كـــــرومتي وحـــــياتي

ماكنـــت أذخـــر في فـــداكِ رغيبةً ... لـــو كان يرجع ميتاً بفدائي -

و.. أكتـــب هـــذه الكلمات والانفعالات تتحكم بمفرداتي، وتأجّج بعض من مشاعري.. وتبعثر ركام عواطفي من آلمي على فراقها، حتى كادت تغالب تعقّلي، وتسدل بوشاح قاتم على كلماتي!

هكـــذا.. أجدني، أو أجد مؤلفي هذا.. مُشيّع بفراق (عزيز) آخر، نسأل الله حسن الخاتمة- والعاقبة - أنه نعم المجيب ذو (الفضل والإنعام).

فاللهم اغفر للغالية — ووالديها.. وكل غالٍ عليها- ووسّع مُدخلها واجعل قبرها روضة من رياض جنات النعيم، وأنزل عليها البهجة والنور، والفسحة والسرور، اللهم ارفع درجاتها وعلِّ مترلتها ، و.. نقها من خطاياها كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم وبدّلها بدار خير من دارها وأهل خير من أهلها واجمعنا بها في مستقر رحمتك، مع: ﴿ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء/٦٩] وارحمنا واغفر لنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه، برحمتك يا أرحم الراحمين((٢)).

.. والحمد لله، حمد الراضي المسلّم بقضاء الله، والمؤمن.. بأن ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد/٣٨] .

---

(١) كـــذا قـــال يعقـــوب علـــيه السلام ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف/١٨]. وهو -كما قال ابن عباس-: الذي لا شكوى فيه.. أو معه

(٢) .. وهذا دعاء نقوله، ونأمّله / لكل فقيد، مات على العقيدة الصحيحة.. والعمل الصالح.

إصدار :

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم/٢٧].

والقائل:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء/٤٨].

ويقول تعالى:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورى/٢٠].

إليه -سبحانه- نحف ونرفد، وله نركع ونسجد، وبه نستعين وإليه نقصد ..

والصلاة والسلام على إمام الأنبياء، وقدوة الأتقياء وعلى آله وصحبه الخلصاء ، ما نزل قطرٌ من السماء، وما نبت زرع في فلاء.

ثم.. نستغفره من كل ما زل به القلم، أو من قولٍ لا يوافقه عمل.

ونستغفره تعالى مما ادّعيناه فأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه.

ونستغفره تعالى من كل (وعد) وعدناه من أنفسنا، ثم قصرنا في الوفاء به.

ونستغفره سبحانه وتعالى من كل علم وعمل قصدنا وجهه الكريم، ثم خالطه فيه غيره.

ونستغفره تعالى من كل خطرة دعتنا إلى تصنّعٍ أو تكلّف[1] تزينّ للناس به .. في كتاب سطرناه، أو كلام أمليناه، أو علم أفدناه.. أو استفدناه.

---

(١) -.. فاللهم: إنّا نعوذ بك من التكلّف لما لا نُحسن، كما نعوذ بك من العجب بما نُحسن، ــ كما يقول (الجاحظ)-

ونـــرجو - بعد الاستغفار .. لنا ولكل مسلم ومسلمة - بعد ذلك مـــن الله الكريم المغفرة والرحمة، والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً وباطناً، فإن كرمه عظيم ورحمته واسعة، وجوده على سائر الخلق فائض..، إنه سميع قريب مجيب.

أما بعد..

فإن الإنسان في هذه الحياة الدنيا لم يُخلق عبثاً، ولم يكن وجوده فيها مجرد صدفة ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون/١١٥]

وإنما خُلق ليبتلى ويمحّص ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ [الإنسان/٢]، فهو سائر نحو الحياة الخالدة، والمصير المحتوم، وهذا ما أدركه أهل الفِطن، الذين قال أحدهم فيهم :

إن للـــه عـــباداً فُطُـــنا ... طلّقـــوا الدنـــيا وخافوا الفتنا
نظـــروا فـــيها فـــلما علموا ... أنهـــا ليســـت لحـــي وطـــنا
جعلوهـــا لُجّـــة[1]، واتخذوا ... صـــالح الأعمـــال فيها سفنا

وأقول – تعليقاً على (البيت الأول):

وسبحان الله!، فإنه كلما ينصرف المرء عن الدنيا، تأتيه صاغرة وتقبل إليه..بـــ فاه فاغره[2]! كأنها (تتمنع عمن يخطبها وتتبع من يركنها)، فلا تجد زاهداً إلا وهي تقفوا أثره.. علّها توقعه في شِراكها! - فهذا دأبها-

ولهـــذه.. أو لأصحاب (الزهد) قصص تكاد توقفك عجباً أمام هذا الصلف ممن تركها.. فأتبعت وأتعبت بخطاها إثره.

---

(١) لجة: أي بحرا- وفي هذا / تمثيل عجيبُ.. بديع !-

(٢) على حال التعجب من فعل هذا الزاهد، ثم/ .. بها، ما أعظم الزهد والصدق ، عندما يتصف بهما العالم والواعظ بحق.

هكـــذا: كان عمر رضي الله عنه –انظر ص٦٣– التي وقفت الدنيا وتمـــالأت وأتت إليه خانعة، حين (عدل فأمن.. فنام) ولم يخف – وسيف الحق و (العدل) شاهر – من أن يمتد له غادر أو حاقد.. أو ناقم، وكذا حال ابن حفيدته (عمر بن عبد العزيز).. والزُّهاد من بعدهم.

وقد ذكر ابن كثير[1]–رحمه الله –:

كـــان (سارية بن زنيم) على رأس جيش في بلاد فارس، وفقد مُدناً فارسية، فاجتمع عليه جموع من الفرس والأكراد عظيمة ودهم المسلمين منهم أمر عظيم، وجمع كثير.

وأن عمـــر بن الخطاب بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قال: يا سارية بن زنيم الجبل الجبل، وفجأة التجأ المسلمون إلى جبل هناك، فلم يقدر العدو علـــيهم، إلا من جهة واحدة فأظفرهم الله بهم، وفتحوا البلاد وغنموا غُنماً كـــثيراً، فكان من جملة ذلك سفط من جوهر، فاستوهبه سارية من المسلمين لعمر.

فـــلما وصـــل الرسول بالسّفط مع الأخماس إلى المدينة جاء إلى عمر فوجـــده قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سماطهم.. فلما رآه عمر قال لـــه: اجلس– ولم يعرفه–، فجلس الرجل فأكل مع الناس، فلما فرغوا انطلق (عمـــر) إلى بيته واتبعه الرجل، فأستأذن فأُذن له، وإذا هو قد وضع له خبزاً وزيتاً وملحاً.. فقال : أدن فكل.. قال فجلست معه وأكلنا.. فلما فرغا.

---

(١) (البداية والنهاية/ ٧ : ١٣١–١٣٢)– في (حوادث ٢٣هـــ)–

قـــال : أنا رسول (سارية) إليك يا أمير المؤمنين ثم سأله عن (سارية بـــن زنيم) فأخبره ثم ذكر له شأن السفط من الجور فأبى أن يقبله، وأمره أن يرده إلى الجند وكان في رسالة سارية لعمر: إن الله فد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كذا وكذا.. لتلك الساعة التي خرج فيها عمر، فتكلم على المنبر، كما قـــال ســـارية: فسمعت صوتاً: يا سارية بن زنيم الجبل، يا سارية بن زنيم الجـــبل.. ظلم من استرعى الذئب الغنم، فعلوت بأصحابي الجبل، ونحن قبل ذلك في بطن واد، ونحن محاصرو العدو، ففتح الله علينا.. فقيل لعمر: ما ذلك الكلام؟ فقال: والله ما ألقيت له، إلا بشيء ألقي على لساني.

وكـــذا ..مـــا روى عن الزاهد (إبراهيم بن أدهم): .. حين سئل – وكان مع صحبه فوق جبل (أبو قبيس)-: ما تبلغ كرامة المؤمن؟.

فقـــال: أن يقول للجبل الذي تحته : تحرك ، فيهتز!، فتحرك الجبل، فقال إبراهيم- رحمه الله –: أثبت أبا قبيس، فلست أعنيك!!

.. وهناك الكثير في هذا، كما رُوي في (السير) عن أعلمهم من أمثال (عبدالله بن المبارك) و (سفيان الثوري).. وغيرهم، ولِلهِ در القائل : (إن لِلهِ عباداً إذا أرادوا.. أراد!).

ثم:

نُتِم/ وعليه.. فالإنسان في هذه الحياة الدنيا إنما هو ضيف فيها، و.. حاله زائر من زوارها، وبعدها سيفتح ذلك الصندوق[1] الذي كان يدخر فيه (العمل) ، ويرى ما بداخله، فإن كان -وأكتنـــز- خيراً.. سيجده، وإن كان غير ذلك أخذ كتابه -عياذاً بالله- (وراء ظهره)، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ[2] خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ[2] ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة:٧ – ٨] .

-إذا أنت لم تزرع وألفيت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر-

وموضـــوعنا في هذا الكتاب عن (اليوم الآخر) ، وبخاصة : ما يسبقه من موت وختام حياة.

قال أبو العتاهيه:

الموت بابٌ وكل الناس داخله ..ياليت شعري بعد الباب ما الدارُ!

و.. قـــبل البدء في هذا، لنقف مليّاً بين يدي القرآن الكريم، والسنة الشريفة..، ثم أقوال العلماء.. عن مقام- ومكانه – (الدنيا).. ومعانيها.

مســـتعيناً المولى، بالدعاء المأثور: (اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم).

-إذا لم يكن عون من الله للفتى ..فأكثر ما يجني عليه اجتهاده-

---

(١) - كما قال الأول.. ممثلاً:

المـــوت يأتـــي فجـــاءة* والقـــبر (صنـــدوق العمـــل)

-* قال أبو الطيب :

نعـــد المشرفية والعوالـــي وتقتلنـــا المنون بلا قتـــال!

أي/ نحن نتهيأ ونتدرّب ونعُد السيف والدرع..و..و، لكن الموت يقتلنا بذلك أو بدونه-

(٢) ذرة : جمعها (ذر) وهي/ صغار النمل – وقيل : هباء الهواء -

فـــ../

من الآيات الكريمة التي تُنبئنا عن الدنيا، .. وتصفها:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس:٢٤]- وهذا تمثيلٌ(١) عجيب يزهد المرء أيما كان حاله: فيها!-

وقال سبحانه في سورة (الكهف):﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾..كما قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد:٢٠].

---

(١) يُضرب المثل كي: يعين على تقريب حقائق الأشياء.- أنظر ما يأتي/ ص١٢٣ مع هامش (١).

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨ ﴾ [الكهف:٧ -٨]

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١ ﴾ [طـه: ١٣١].

ويقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ ﴾ [النازعـات:٣٧ -٣٩].

و../ من الأحاديث النبوية التي تتحدث عن الدنيا:

قـــال - من أعطى جوامع الكلم - عليه من ربه أزكى الصلاة وأتم التســـليم: {الدنـــيا حلـــوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، إنما أخشى أن تُبســـط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسُوها، فتهلككم كما أهلكتهم}[1].

و.. قـــال ﷺ: {الدنـــيا ملعونـــة[2]، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وعـــالم ومتعلم، فلو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء}[3]- وهذا (الحديث) .. عظيم المعنى، فأي قيمة لها وهي دون (جناح) بعوضه!-

.. وهنا استطراداً، نبه إليه بعض أهل الفضل :

إن الله أعطـــى إبلـــيس (الخلود) — حين أنظره- (أخّره)[4] إلى يوم يبعثون-..وما أحبه.

---

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه٤/٤٠٩٨،والترمذي في سننه ٤/٤٨٣ .

(٢) أي : مبغوضـــة ساقطة — ولا يعني (بهذا المقام) ذمّ الدنيا على الإطلاق!، فهي مزرعة الآخرة- إنما القصد أن كـــل شي ليس لِلهِ فيه شيء (منها) فهو مذموم دنيٌّ كاسمها- والله اعلم - ومن ذاك (كتاب الله وما والاه..) من خير وطاعة وعباده- ومن العبادة/ إعماراً للدنيا.. ومثل ذلك-

قـــال أبو عمرو بن الحارث أخو (جويرية) أم المؤمنين رضي الله عنهما: (ما ترك رسول الله إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضٍ تركها لابن السبيل) رواه البخاري - وأنظر ف ثنايا (ص٢٩) -

(٣) - أخرجه ابن ماجه ٢/١٣٧٧ . والترمذي ٤/٥٦١ . والدارمي ١/٣٢٢

(٤) قال العلامة (عبد الرحمن السعدي):

ولما كانت حكمة الله مقتضية لابتلاء العباد واختبارهم، ليتبين الصادق من الكاذب ومن يطيعه ممن يطيع عدوه أجابه لما سأل، فـــ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥] —ص٢٨٤/ من تفسيره -

و.. وهب فرعون (الملك) وما أحبه

و.. بلّغ هامان (الوزارة) وما أحبه.

وأسدى (المال) لقارون وما أحبه.

إنما (الهداية) — وهي أسمى مكتسب- فقط.. يختصُّ بها من (يُحب).

ولهذا فإن أول نعت لأهل الهدى - في سورة الفاتحة- بـ (الذين أنعمت عليهم)، ثم استثنائهم من المغضوب عليهم (اليهود) والضالين (النصارى)..

فأعلم أخي أن الإيمان هو أعظم النِعم التي يسبغها الله على عباده، ولتدرك أنك إذا وهبت نعمة (الهداية) فهي- بإذن الله- من علامة محبة الله لك، .. وحسبك هذا الفضل الذي يبلِّغك درجة (يحبهم ويحبّونه).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

{الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى وما والآه، وعالماً ومتعلماً}.

وأيُّ تزهيد لها يوازي وصفه لها عليه الصلاة والسلام: {الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر}[1].

وقال صلوات الله وسلامه عليه: {مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف، فقال[2] تحت شجرة ساعةً، ثم راح}[3].

- .. وقد نظم المعنى.. الشاعر بقوله:

وما دنياك إلا مثل ظلٍّ أظلّك، .. ثم آذن بالزوال

---

(١) - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٢٣/٢ ومسلم ٢٢٧٢/٤- .

(٣) فقال : أي (قال) من القيلولة، - وهي إغفاءة قليلة -

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٠١/١ .

وقد أحسن من قال:

إنمـــا الدنـــيا كظـــل زائل أو كضَـــيفٍ بات ليلاً فارتحل

كطـــيف قـــد يـــراه نائم أو كـــبرق لاح في أفق الأمل

وروى أحمد والحاكم عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله، ﷺ ، دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثّرَ في جنبه، فقال: يا نبي لله لو اتخذت فراشـــاً أوثـــر مـــن هذا؟ فقال: { ما لي وللدنيا؟، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكـــب ســـار في يـــوم صائف ، فاستظل تحت شجرة من نهار، ثم راح وتركها}.

ونبّه إلى أن {من أحب آخرته.. أضرَّ بدنياه، ومن أحب دنياه.. أضرَّ بآخرته، فآثروا ما يبقى على ما يفنى}[1].

وفي حديث آخر – مُزهِّداً عن فضولها، وأشغالها- يقول ﷺ:

{من أصبح آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه.. فكأنما حيزت إليه الدنيا بحذافيرها}[2].

-لكن وقد روى مسلم.. من دعائه ﷺ: {اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إلـــيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر}-

وفي الحديـــث القدســـي الصـــحيح، الذي رواه الترمذي والحاكم، وصححه الألباني :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤١٢/٤ وابن حبان ٤٨٦/٢ .

(٢) أخرجه الترمذي ٥٧/٤ وابن حبان ٤٤٦/٢-والسرب: النفس، أو جماعته (أهله)، حذافيرها: جوانبها .

(وقال الله عز وجل: إبن آدم تفرّغ لعبادتي أملء صدرك غنى وأسدّ فقرك، وإلا تفعل ملئت يدك شغلاً و لم أُزْل فقرك).

و.. قال ﷺ: { من كانت الدنيا همّه فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه و لم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرة همّه جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا راغمة}.

وقال ﷺ: {كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسك في أهل القبور}[1].

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: {كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل} رواه البخاري.

- أي... من قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ[2] ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤]-

ويقول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: {لا عيش إلا عيش الآخرة}...

- وكان الصحابة رضي الله عنهم يرتجزون.. هذا المعنى بـــ :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخـــرة فاغفر للأنصار والمهـــاجـــرة -

وروي عن سيدنا شعيب عليه السلام- ...وقد عُمّر – قوله: (وددنا لو عمرنا مترلاً، لكن العمر لا يستحق) - أو كلمة نحوها-

- من هنا قال الراجز :

هـــذه الدنيـــا حيـــاة فانيـــة إنمـــا الجنـــة دومـــــاً باقيـــة ــ

---

(١) - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٢٤ والبخاري ٥/٢٣٥٨ .

(٢) أي: الحـــياة الحقيقية (الأبدية السرمدية، كما قال تعالى ﴿ خَالِدِينَ فِيهَآ ﴾ [التغابن/٩] و ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلاَّ ٱلْمَوْتَةَ ٱلأُولَىٰ ﴾ [الدخان/٥٦].

..مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾

[آل عمران:١٤]-

.. وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول:

" الشـــمس في الشـــتاء جِلالي[1]، ونور القمر سراجي، وبقل البرية فاكهتي، وشعر الغنم لباسي، أبيت حيث يدركني الليل، ليس لي ولد يموت، ولا بيت يخرب، أنا الذي كببت الدنيا على وجهها".

-.. وهذا ما أملى على شيخ الإسلام (ابن تيمية) رحمه الله.. في قوله:

(مـــاذا يـــريد أعدائـــي مني؟! سجني خوله، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة.. الخ)-

(١) أي : غطائي.

oberikandl.com

و.. مما قيل فيها من النثر والشعر:

قـــال الإمام (علي بن أبي طالب)[1] ﷺ: (مثل الدنيا والآخرة: مثل المشـــرق والمغرب، على قدر ما تقرب من أحدهما.. تبعد عن الآخر، ومثل الضـــرتين، إذا أرضـــيت إحداهما.. أسخطت الأخرى، ومثل إناءين أحدهما فارغ والآخر ممتلئ، بقدر ما تصب في الفارغ.. ينقص الملآن).

وقال أيضاً: (طوبى[2] للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قـــوم اتخـــذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والدعاء والقرآن شـــعاراً ودثـــاراً، فرفضوا الدنيا[3] على منهاج عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام).

.. وكـــان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أصحبت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من عافيت لمرضك ومن قوّتك لضعفك.. الخ)[4].

وقـــال الحســـن البصـــري رحمـــه الله تعـــالى: (مسكين ابن آدم، يســـتقلّ مالـــه، ولا يستقل عمله، يفرح بمصيبته في دينه، ويجزع بمصيبته في دنياه).

وقـــــال أيضاً: (على الأسقام والأمراض أسست الدنيا، هبك تصح من الأسقام، وتبد[5] من الأمراض.. هل تقدر أن تنجو من الموت ؟!(.

---

(١) للإمام علي ﷺ كلمات مؤثّرة دالة بليغة،- حتى أفرد لها ابن كثير في تاريخه بابا خاصاً-

(٢) أي: لهم حالة طيبة، ومرجع حسن.

(٣) وقال موافقاً (يا دنيا.. غُرِّي غيري، فقد طلقتك ثلاثاً).

(٤) وأنظر .. في/ ص ٥٧.

(٥) أي : تنقضي.

وقد وصفها أحد البلغاء.. انها (تُقبل إقبال الطالب وتدبر إدبار الهارب، وتصل وصال الملول، وتفارق فراق العجول، فخيرها يسير، وعيشها قصير، وإقبالها خديعة، وإدبارها فجيعة، ولذاتها فانية، وتبعاتها باقية، فاغتنم غفوة الزمان، وانتهز فرصة الإمكان، وخذ من نفسك لنفسك، وتزود من يومك لغدك)... كيف لا..!، وقد قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد/٢٠].

فـــــ.. لم يبقى بعد هذه الآية الكريمة من وصفٍ (يُحمد) لهذه الفانية سوى الزهد فيها..، أو عما فيها كما قال علي ﷺ: (**إن السلامة منها ترك ما فيها**).

وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: (صوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور).

ويُجمل هذا.. ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال :

قيل يا رسول الله: أي جلسائنا خير؟ قال : { من ذكّركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم في الآخرة عمله}. رواه أبو يعلى.

.. وقال (سفيان الثوري) رحمه الله: (من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار!).

وقـــال أحد الزهاد: (إذا دخل قلبٌ حبّ الدنيا.. ذهب منه خوف الآخـــرة، وإياكم وما يشغل في الدنيا، فإنه لم يفتح عبد على نفسه باباً من الدنيا.. إلا سد عليه عدة أبواب من عمل الآخرة).

بعدها../ ليس المقصود من ذلك ترك العمل في الدنيا أصلاً، إذ العمل من أجل الحياة في الدنيا مطلوب، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص: من الآية٧٧]وقال جل جلاله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [الملك: من الآية١٥] بل ويتعدى هذا ليكون (عبادة) [١].. إذا قُصد به طلب الحلال والعفّة و(حفظ ماء الوجه)- عن هدره- [٢]!

و.. كما قال محمود الوراق :

لا تتبع الدنيا وأيامها ذمّا، وإن دارت بك الدائرة
من شرف الدنيا ومن فضلها أن بها تُستدرك الآخرة

ومع هذه العجالة أقول: فقط يجب أن نتذكر ونتدبر قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة، الآية ٢٠١]، فقد بدأ- جل شأنه – بالدنيا قبل الآخرة في دلالة لا تخفى على الحصيف وغني عن القول إن في هذه الآية فصل الخطاب.

بل من أسباب خلقنا (إعمارها) [٣]، ولكنه حذّر من الانغماس فقال معقّباً: ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك ٢١٥]، أي: وتمتعوا[٤] في الدنيا، ولكن بمقدارٍ وميزان، واعلموا أن المصير إلى الله- فوازنوا وسدِّدوا.. وقاربوا، وأعلموا أن

---

(١) ..كما في حال (النوم) إن كان القصد به التقوّي للطاعة.. وهكذا-.

(٢) .. وحديث (لئن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أي يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه) متفق عليه..

(٣) كما قال العلامة (د. يوسف القرضاوي) حفظه الله: أسباب الخلق ثلاث :

أ- العبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ .

ب- الخلافة ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾.

ج- العمارة ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ ٱلأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾.

(٤) .. وقد قال أحد العلماء (كلُ واشرب والبس ، ما أخطأتك خصلتان: الإسراف، والكبر)-

الآخرة هي الحياة الخالدة..﴿ ٱلۡحَيَوَانُۚ[1] لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

أيا جامع الدنيا لغير بلاغة[2] لمن تجمع الدنيا وأنت تموت؟!-

ويجدر هنا ذكر (الفرق)..الذي قال به أحد الفضلاء:

(الإنسان يأكل ليعيش، أما الحيوان.. فيعيش ليأكل)[3]، وهذا لعمري معنى يكفي ويفي -عن شرحه- لأولي النُّهى، (وقد فقهت عقولهم)!، فإن الله شبّه من لا يُعمل عقله بـــ(الأنعام) التي- كما تقدم-تأكل لتعيش وترتع.. فحسب، وقد قال فيهم المولى تعالى: ﴿ يَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ [محمد/١٢]. فـــــ:

يـــا نفـــس ما هي إلا صبر أيام كـــأن مدتها (أضغاث[4] أحلامِ)

يا نفس جوزي عن الدنيا مُبادرةً وخلِّ عنها، فإن (القبر) قدامي

وذاك.. القائـــل:

---

(١) أي: الحـــياة الكاملـــة، وأنها: كل ما تكمل به الحياة – مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر – تفسير السعدي/ ص٦٣٥-.

(٢) وفي هذا بيان لحالة البؤس التي يحياها المتعلقون بحب الدنيا ، ..وهذا أحد عقلاء الغرب، (بيفر بروك) يقول :

" لقـــد جمعت من المال الكثير، ولكنني رأيت من واقع التجربة أن الإستمرار في هذه اللعبة- لعبة جمع المال- خطيرة ولـــيس لها نهاية وتبلع العمر والسعادة، لذلك غيرت عملي واتجاهي إلى عمل آخر أهواه في مجال النشر، لا يدرُّ مالاً كـــثيراً ولكنه يحقق لي السعادة وخدمة المجتمع، وإنني أنصح كل رجل أعمال جمع من المال ما يكفيه جداً أن يكفّ عن لعبة المال، ويتقاعد مبكراً ليستمتع بمحقق، ويشرع في عمل محبوب ، فيه خدمة للمجتمع وإمتاع للوقت".

(٣) نسبت لـــ (شكيب أرسلان).

.. وهي بمعنى/ ذلك الذي لا يفرّق بين الوسيلة والغاية، أو يضع أحدهما مكان الآخر!

(٤) .. أي : هي الأحلام التي لا تأويل لها.

obeikandl.com

أخي ما بال قلبك ليس يتقى ... كـأنك مـا تظن الموت حقا
أيـا ابن الذين مضوا وبادوا ... أمـا والله مـا ذهبوا لتبقى!
ومالك غير تقوى الله زاد[1] ... إذا جعلت إلى اللهوات ترقى

وقال بعضهم :

إلى كم ذا التراخي والتمادي ... وحادي الموت بالأرواح حادي
فلـو كُـنّا جمـاداً لاّتعظـنا ... ولكنـنا أشـد مـن الجمـاد
تحاذيـنا المنـية كـل وقت ... ومـا نصـغي لقول أو فادي
وأنفاس النفوس إلى انفضاض ... ولكـن الذنـوب في ازديـاد
إذا مـا الزرع قارنه اصفرارٌ ... فلـيس دواؤه غـير الحصـاد
كـأنك بالمشـيب وقد تبدّا ... وبالأخـرى يـناديها المـنادي

وجاء في المواعظ – ما نُسب لعمر بن عبد العزيز (رحمه الله):

من كان حين تصيب الشمس جبهته
أو الغـبار يخـاف الشـين والشـعثا
ويألف الظل كي يبقى بشاشته
فسـوف يسـكن يومـاً راغمـاً جدثـا
في ظل مقفرةٍ غبراء مظلمة
يطـيل تحـت الـثرى في غمّهـا اللبـثا
تجهّزي بجهاز تبلغين به
يـا نفُـسُ قـبل الـردى[2]، لم تُخلقـي عبثا

(١) .. من قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾- أنظر . قول علي رضي الله عنه ص ٥٨-
(٢) أي : الموت .

وقال الآخر :

ومـــن يذق (الدنيا) فإني طعمتها ... وسيق إلينا عذبها[1] وعـــــذابها
فـــلم أرها إلا غروراً وبـــاطلاً ... كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
ومـــا هـــي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب هـــممن اجتذابها

وقال (امرؤ القيس) :

وافـــنايني[2] ولا يفـــنى نهـــار ... ولـــيل كـــلما يمضـــي يعود
وشـــهر مســـتهل بعـــد شـــهر ... وحـــول بعـــد حـــول جديد
ومفقـــود عزيـــز الفقـــد تـــأتي ... منيّـــته.. ومـــأمول جديـــد

وقال أبو العتاهية[3]:

لا تأمن الموت في لحظ ولا نفس ... وإن تمنـــّعـــت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصـــدٌ ... لكـــــل مُدَّرع منها ومُتّـــــرس
.ترجو (النجاة) ولم تسلك مسالكها ... (إن السفينة لا تجري على اليبس[4])

..فيا أللهّ:

ارحمنا إذا عرق الجبين، وكثر الأنين.

وارحمنا إذا وآرانا التُّراب، وانقطع عنا الأهل والأحباب.

---

(١) أي : حلوها.

(٢) والمعنى قال به الحسن البصري – رحمه الله-: (يابن آدم إنما أنت أيام، كل ما يمضي يوم.. يمضي بعضك!!)

(٣) هو صاحب (الزهديات) المعروفة الذي قال : مقرراً بـــ :

أيها المقابر فيكـــم ... من كنـــا نادمـــه
ومن كنا نعاشـــره ... ومن كنا نباشره .. الخ.

(٤) وكم ذهب عجز هذا البيت .. مثلاً !

وارحمنا إذا نُسي اسمنا، واندرس قبرنا.

وارحمنا إذا لم يزرنا زائر، ولم يذكرنا ذاكر.

وارحمنا إذا صرنا في اللحود.. بين مراتع الدود.

.. وذلك ظننا[1] بك يا كريم وأملنا بك يا رحيم/ أن تعاملنا بما أنت أهله ﴿ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾..ولا تعاملنا بما نحن أهله.. من تقصيرٍ وإسراف على أنفسنا،..

فـــــــ ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمـــران/ ٥٣].. لنـــبلغ ﴿ مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمـر/٥٥].. ومقـــام الأبـــرار، الذيـــن هـــم في (عليين)،.. يا أكرم الأكرمين.

..... **وإلى (مادة) الكتاب..**

(١) كما في قوله ﷺ: {لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه} -أو كما ورد-.

obeikandl.com